۞ خطر عولمة الثقافات
والاستبداد بالعلم على الثقافة العربية

✍ د. علي محمد أحمد
مدير المركز اليمني للدراسات
الاجتماعية وبحوث العمل

المقدمة:

يكتسب موضوع هذا الملتقى أهمية كبيرة، حيث يناقش أهم موضوعات عصرنا المليئ بالتناقضات المعقدة، والمعادلات الصعبة، والخيارات المريرة، في وقت تعيش فيه الأمة حالة التمزق والشتات، في زمن لا مكان فيه للضعفاء، ويعتز الإنسان العربي أن يحتضن بلد المليون شهيد مثل هذا الملتقى العلمي الهام، على أن يخرج بتوصيات علمية ذات أهمية خاصة في هذا الوقت، وفي تقديري إن على المثقف العربي أن يتقبل آراء أخيه، على بساط المناقشة من أجل الإثراء، لأن من أهم مشكلات الأمة العربية في تقديري الشخصي هو الهوة القائمة بين المثقفين والمفكرين والعلماء العرب من جميع المشارب، مما يسهل من عملية الاختراق في الثقافة العربية، وتشتيت الوعي، ليحل الاغتراب الثقافي لصالح الآخر.

كما أن الهوة القائمة بين المثقفين والمفكرين والعلماء والحكام هي الأخرى تجعل الوعي بالرغم من كل مشكلاته يسير في واد، والممارسة في الحكم تسير في واد آخر، قد يكون هناك بعض المبررات التاريخية لعدد من النواقص والسلبيات في الماضي، إلا أن اليوم يستدعي النهوض الثقافي ليسهم في أن تستعيد الأمة العربية عافيتها وتأخذ مكانتها الملائمة في هذا الزمن الصعب.

1- أهم المفاهيم المستخدمة في هذه الورقة:

1-1-الثقافة: هناك عدد من التعريفات ونورد منها:

أ- يقول د.حليم بركات:نعرف الثقافة بمعناها الأنثروبولوجي (فنشير بها إلى مجمل أساليب المعيشة في حياة الشعب اليومية، التي تشمل بين عناصرها المترابطة، في نسيج متكامل الرؤية العامة والقيم والمبادئ والمفاهيم والعادات والتقاليد والمعتقدات والمقاييس والمعايير والمهارات والأعراف والقوانين والأمثال والروايات والمناقب الأخلاقية والقواعد السلوكية اليومية، وبمعناها الحضاري مشيرين بشكل خاص إلى مجمل المعارف والإنجازات الإبداعية أوالفنية والفكرية والعلمية والتقنية)[1].

ب- ويعرف إبراهيم عبد الله غلوم على أنها:"الثقافة هي إنتاج المجتمع بكل ما فيه من تنوع وتناقص وتغير وثبات، وبكل ماهو عليه من أفكار وتجارب محققه، وغير محققه، ماضيا وحاضرا ومستقبلا، والحديث عن الثقافة الآن لا ينبغي أن يكون بعيدا عن حكمة الأنثروبولوجيا، الحكمة التي كشفت عبر رحلة طويلة من البحث والتأمل والمعايشة، ومعاينة الأقاصي-لنا الصورة التي يكون عليها مجتمع ما في مكان ما، وصاغت لنا من هذه الصورة مصطلح الثقافة الذي تداولناه طويلا في ظلام من الأوهام التي ننتجها وفق رؤية مضلله خضعنا لها ضمن الخضوع للمركزيات المحلية"[2].

ج- ويعرف الثقافة لجنة من العلماء الأكاديميين السوفيت (كل القيم المادية والروحية، ووسائل خلقها واستخدامها ونقلها التي يخلقها المجتمع من خلال سير الالتاريخ، وبمعنى أكثر تحديدا فإنه من المعتاد التمييز بين الثقافة المادية (أي الآلات

والخبرة، في ميدان الإنتاج وغير ذلك من الثروة المادية) والثقافة الروحية (أي المنجزات في مجال العلم والفن والأدب والفلسفة والأخلاق والتربية)[3].

د- ويكتب د.مصطفى عبد الغني: ترى ماهي الثقافة؟ (هي تلك المادة التي منها يتكون الولاء، ليس لأصنام محنطة، بل لكيان تحرص عليه، ولأهمية تميزنا عن الآخر دون الاستعلاء عليه، الثقافة قيم وتقاليد وممارسة، وهي نظام متكامل لا يقبل التحلل، ولا يعرف التماسك التصاعدي، الثقافة هي أولا إيمان، وثانيا امتياز، وثالثا تضحية وكفاح، لكونه يرى تلك القيم محور حياته ووجوده)[4].

1-2- الوعي: إذا نأخذ الوعي ارتباطا بالثقافة أنه بالضرورة أن نأخذ الوعي الاجتماعي وهو مجمل الآراء والمفاهيم، والأفكار والنظريات السياسية والقانونية والجمالية، والأخلاقية والفلسفية والدينية، والعلم؛ ويتدرج من الوعي البسيط إلى الوعي الإيديولوجي.

1-3-الحضارة: (تعني المدنية -مأخوذة من اللاتينية-مدني- حكومي) أي (أنها جملة إنجازات المجتمع المادية والروحية، ويقارن مفهوم الحضارة عادة بمفهوم الثقافة وغالبا ما يعنى الفلاسفة البرجوازيون بالحضارة إنجازات المجتمع المادية والتقنية، ويقصرون الثقافة على القيمه الروحية.

وفي هذا الإطار يصور هؤلاء ميدان النشاط الذهني (الثقافة) أرفع ميادين التطور الاجتماعي، ويطرحونه في أحيان غير نادرة في مواجهة الحضارة بوصفها ميدان الأشياء، وجملة الخبرات المادية، ويذهب شينغلر إلى أن الحضارة مرحلة من تطور المجتمع، تحل عندما يعتري الجمود الثقافة كلها وتسير في دروب الانحطاط

والهلاك، وأحيانا يعتبر مفهوما الحضارة والثقافة كمترادفين في جوهر الأمر عند توينبي)[5].

1-4-الثورة العلمية التقنية-ثورة المعلومات: إنها قفزة نوعية في تطور قوى الإنتاج العصرية، تتسم بتحول العلم إلى القوة القيادية في الإنتاج وتمتاز بالتطور الثقافي العالي، وأتمته الإدارة وتغيير أساليب الإنتاج الثقافية.

فإذا كانت الثورة الصناعية تطلق كميات كبيرة من الطاقة الميكانيكية، فإن الثورة المعاصرة تطلق كميات هائلة من الطاقة العقلية باستعمال كميات قليلة من الطاقة الميكانيكية.

1-5-العالمية: استخدم هذا المفهوم ويجري اصطلاحه على الموضوعات التي تكتسب صبغة عالمية؛ واستخدم النظام العالمي الجديد فترة قصيرة جدا حيث أخذ في التلاشي والانحسار منذ حرب الخليج العربي الثانية.

1-6-العولمة: كمفهوم يختلف كليا في مضمونه عن العالمية لكون العالم هنا لا يظهر بشكل مستقل، بل هناك من يفعل فعله عليه ليعولمه كما يشاء، وهذه (العولمة هي عبارة عن تصور أو مشروع كوكبي متكامل يغطي حقول عديدة من السياسة والاقتصاد والاجتماع إلى الحضارة)[6].

1-7-العولمة الثقافية: تسعى العولمة لتجعل من الثقافة سلعة أو خدمة للاستهلاك، شأنها شأن المعلبات إنها محاولة لتكريس التقسيم الإمبريالي للعمل لتنتج أمريكا أشكال الثقافة اليومية من أفكار وتصورات وأذواق)[7].

وتظل أهم تجليات هذه العولمة هو العنف الثقافي، وتمثل الصناعات الثقافية فيها بلورة لهذا العنف الأمريكي عبر وسائل الاتصال والإعلام والمعلومات المتعارف عليها، بتسميتها وهي (الطريق السريع للمعلومات أو وسائل الإعلام متعددة الوسائط)[8].

1-8-الاختراق الثقافي: العولمة ثقافة الاختراق: ثقافة الانفتاح، التعدد والاختلاف، ثقافة التكيف، يمارسون نوعا من الإقصاء الإيديولوجي لعبارات ومفاهيم مناقضة للأولى مثل (الاستقلال والتحرر، الوحدة والتنوع، التمسك بالثوابت)[9].

1-9-التنمية البشرية: (التنمية البشرية المستدامة تجعل الناس هم محور التنمية، ينبغي أن تتاح للجميع إمكانية متساوية للحصول على الفرص الإنمائية الآن وفي المستقبل، وهكذا فالتنمية تحتاج إلى تكامل عالمي في عالم ربعه غني وثلاثة أرباعه فقير)[10].

1-10-الكوكبية: لا تعني العولمة بل ربما تعني العالمية، إما إذا نريد أن نطبق على الكوكب مفهوم العولمة فيمكننا أن نطلق مفهوم الكوكبة إذا جاز التعبير مثل العالم، العولمة وفي اللغة العربية قد يختلف المعنى وفي تقديري أن استخدام الكوكبية بمعنى العولمة في غير محله ولا يعبر عن الموضوع.

2-الحضارة/الثقافة:

لقد تعرضنا لبعض المفاهيم للثقافة ونعرض أن هناك تقارب كبير لمفهومي الثقافة والحضارة إلى حد أن البعض لا يرى فروقا أو اختلاف بينهما.

وإذا كان د.حلمي بركات يصنف الثقافة إلى ثلاثة أصناف من حيث موقعها من النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي هي:

1- الثقافة السائدة وهي ثقافة الطبقات والفئات الحاكمة.

2- الثقافات الفرعية وهي ثقافات الجماعات الأقليات من دينية وعرقية ومذهبية.

3- الثقافات المضادة وهي الثقافات التي تنشأ في وجه الثقافة السائدة.

أما درجات الثقافة فيقسمها إلى درجتين هما:

1- الثقافة العامة- وهي الثقافة الشعبية.

2- ثقافة النخبة- وهي ثقافة الفئات العليا[11].

إنه بذلك يصور لنا بنية الثقافة في قطر من الأقطار وفي الوطن العربي، وإذا أن نأخذ الحضارة ارتباطا بالثقافة يمكننا القول أنها نتائج الأعمال التي تحققها الشعوب والبلدان المعنية استنادا إلى منجزات الأجيال السالفة، بمعنى أنه من الصعب فصل أي حضارة عن محيطها المعاصر وبعدها التاريخي.

والحضارة بمفهومها الإنساني تتوافق مع متطلبات البشرية وتطلعاتها، وبالتالي يمكن القول أنها حضارة أخلاقية ضد الشر الاجتماعي وتعاضد في سبيل الحرية والسلام والتقدم الاجتماعي.

وفي تقديري أن الجوهر الاجتماعي للحضارة هو التوجه لترسيخ وتحسين ركائز نظام اجتماعي مبدأه الأساسي التطور الكامل والحر لكل فرد، أي تطوير الجوهر

الإنساني الأصيل، وتفتيح قدراته، وتحريره الفعلي من الاضطهاد الاجتماعي والقومي والعنصري وتجاوز اغترابه.

وإذا لنا أن نقول أن القوة المحركة الرئيسية في تطور الحضارة هو الإنسان صانع جميع المنجزات فمن المهم تحديد اتجاهات العمل العربي والقطري تجاه الاهتمام بالإنسان أو ما يمكن أن نطلق عليه التنمية البشرية، فإذا الإنسان في الغرب يحصل على اهتمامات كبيرة لتطوير قدراته وملكاته وإبداعاته، في الوقت الذي تتوفر لديه المؤسسات الثقافية والعلمية المتطورة والتي تساعده في الخلق والعطاء، فإن المثقف العربي يحتاج إلى تطوير قدراته لمواكبه ما يمس به الحياة من تطور في عالم تجري أحداثه بسرعة مذهلة لا مجال للتوقف عندها.

فإذا لنا أن نأخذ الثقافة بمفهومها الواسع (أي الثقافة المادة والروحية، وأن نأخذ الحضارة بمفهومها المادي والتقني في علاقاته مع ميدان النشاط الذهني إن هذا يقودنا إلى التقارب الكبير بين المفهومين، وفي تقديري أن الحضارة هي التجسيد الحي للثقافة في مرحلة تاريخية معينة.

3- البعد التاريخي للعولمة:

العولمة لم تكن وليدا جديدا في جوهره الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في ظل الرأسمالية التي أصبحت القطب المسيطر دون منازع بعد سقوط النظام الاشتراكي في الاتحاد السوفياتي وأوربا الشرقية، ولكنها تعبر عن مفهوم جديد تستخدمه القوى المسيطرة في العالم حيث أنه في حقيقة الأمر لا يعبر إلا عن امتداد متطور وتعبير لفظي جديد لهيمنة واقعية جديدة ليس على بقعة أو قطر من الأقطار مثلما كان في

السابق ولكن على المستوى العالمي، والعولمة في حد ذاتها سطوة وسيطرة جديدة في ظروف ومناخات لا تزال تشكل ملامح المستقبل الذي يولد في رحم الظروف المعقدة، وإذا لنا أن نرجع سريعا بعض الشيء إلى الماضي نلاحظ ما يلي:

أولا : أن الرأسمالية تشكلت ونمت عندما أنضجتها جملة من الظروف وتوسعت نشاطاتها التجارية خصوصا في القرن السادس عشر والقرن السابع عشر، هذا ما أظهر تنافسا بين عدد من الدول الرأسمالية تجسد غالبا في الصراع الثنائي بين دولتين أو أكثر والذي تطور تدريجيا.

ومثلت الرأسمالية التجارية في هذين القرنين مرحلة مهمة في تطورها.

ثانيا : لقد جاء القرن الثامن عشر والتاسع عشر ليعلنا قيام وتطوير الرأسمالية الصناعية، وعبر قيام المانيفكتورات والفابريكات عن بدايات لثورة صناعية تطورت بسرعة فائقة في أوقات لاحقة ومثلت الرأسمالية الصناعية امتدادا متطورا للرأسمالية التجارية بل وتكاملا تجاريا صناعيا.

ثالثا : نشأت نتيجة تطور وتكامل الرأسمالية التجارية والصناعية الرأسمالية المالية في الفترة (**1850-1914**م) ومثلت ذروة التطور الرأسمالي في بداية القرن العشرين، وتكونت الشركات والمؤسسات العالمية متعددة الجنسيات وبدأت تصدر الرساميل للاستثمار، وفي تلك الفترة أنتقل شكل المنافسة الرأسمالية إلى شكل أوسع مع التحالفات والصراعات المنفردة والثنائية حتى انفجرت الحرب العالمية الأولى كنتيجة من نتائج الصراع والتنافس الرأسمالي الذي أصبح عالميا في الفترة **1914-1918**م.

وفي الحرب العالمي الأولى أنقسم العالم إلى محورين في الحرب هما:

أولا : ألمانيا، النمسا، هنجاريا، تركيا.

ثانيا : بريطانيا، فرنسا، روسيا.

شكلت نتيجة الحرب العالمية الأولى عصبة الأمم وتأسست أول دولة اشتراكية هي الاتحاد السوفياتي حينذاك، في الوقت الذي عندما كانت الحرب جارية وعد بلفور بإعطاء الصهاينة فلسطين نوفمبر **1917** وتم التوقيع على اتفاقية سايكس بيكو عام **1916**م التي بموجبها تم تقسيم الوطن العربي بين الدول الاستعمارية على أنقاض الدولة العثمانية.

تطورت الرأسمالية في الوقت الذي أدى استعمار البلاد العربية إلى كبح عملية التطور في هذه البلاد وليس هذا فحسب بل جرى نهبها وتكبيلها ومحاولة طمس تراثها وثقافتها ناهيك عن تبعيتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية.

جاءت الحرب العالمية الثانية في الفترة **1939-1945**م نتيجة اشتداد التنافس والصراع الرأسمالي لتشكل كتلتا الحرب كالتالي:

المحور الأول: من بريطانيا، أمريكا، الاتحاد السوفيتي.

المحور الثاني: من ألمانيا، إيطاليا، اليابان.

انتهت الحرب بانتصار المحور الأول بريطانيا وأمريكا والاتحاد السوفيتي، وهزيمة المحور الثاني، وتأسست الاشتراكية في عدد من بلدان أوربا الشرقية وانقسم العالم إلى نظامين مختلفين وتشكلت الأحلاف العسكرية في مناطق مختلفة من

العالم، وتطورت الرأسمالية في ظل المنافسة مع الاشتراكية حتى انهارت الاشتراكية ويصبح القطب الرأسمالي هو القطب الأوحد في الساحة الدولية.

أنه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بدأت تظهر الرأسمالية مابعد الصناعة كما يسميها البعض أو الثورة التكنولوجية الحديثة التي على أساسها تطور العلم على قاعدة الثقافة بشكل لم يسبق له مثيل، وظهر مفهوم (النظام العالمي الجديد) الذي اختفى سريعا لأنه حسب اعتقادي لا يعبر عن ما يريده الغرب لأن مثل هذا المفهوم عندما حل محل مفهوم النظام الرأسمالي العالمي والنظام الاشتراكي العالمي (الذي انهار) كان عليه أن يتحلى بعلاقات جديدة أكثر إنسانية وعدلا وتكافؤا وتكاملا علاقات أرقى من العلاقات السابقة، لكن ما حدث هو أن جرى استخدام هذا المفهوم فترة قصيرة ليستبدل بمفهوم العولمة، ليشمل كل المجالات.

4- العالمية والعولمة من منظور إقتصادي:

بدأ التنافس بين الدول الرأسمالية الاستعمارية التي غزت البلدان الأخرى مع بداية ظهور الرأسمالية التجارية، وتحول من تنافس إلى صراع أصبحت فيه بلدان وشعوب البلاد التي غزاها الاستعمار ساحت حروب ومطاحنات دامية، حيث بدأت هذه الحروب بين دولتين ثم تطورت حتى أصبحت كتلا ومحاور للصراع، وظهرت العالمية بتدويل الصراع والرأسمال التجاري والصناعي والمالي والسلب والنهب والعلاقات، وانقسم العالم إلى قطبين أساسيين هما:

1- النظام الرأسمالي العالمي.

2-النظام الاشتراكي العالمي.

وتنهض من بين ركام التخلف دول ما كان يسمى بالعالم الثالث، وللأسف إن البعض لا يزال يستخدم هذا المفهوم حتى اليوم، في ظل غياب العالم الثاني، ومن خلال الرؤية القاصرة لمشكلة الفقر، (حيث يظهر بوضوح كامل الشمال الغني والجنوب الفقير وهما المفهومان الواقعيان).

إن مفهوم العالمية تعبير استخدم ويستخدم تطبيقا على ما يتجاوز الحدود القطرية والإقليمية وفي كثير من الأحيان تستخدم بعض المفاهيم استخدامات غير دقيقة وربما تستخدم العالمية كمفهوم أشمل لكثير من جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

والعالمية من منظور اقتصادي حسب تقديري إن المفهوم يرتبط بالكرة الأرضية بالعالم، الكوكب، الذي يحوي المنظومات الاقتصادية المختلفة في الفترة المنصرمة بكل تناقضاتها الرأسمالية، الاشتراكية، الحركات الوطنية ... الخ.

ففي الفترة حتى ما قبل سقوط المنظومة الاشتراكية كان هناك النظام الرأسمالي العالمي والنظام الاشتراكي العالمي، ونظام اقتصاديات البلدان المتخلفة الذي عادة ما يتبع إما الأول أو الثاني، ولربما مع وجود الاستقلالية النسبية الطفيفة جدا لعدد قليل من البلدان التابعة.

أما العولمة من منظور اقتصادي: فهي تهدف إلى عولمة العالم بصبغتها، فهي تعني هيمنة دول الشمال على السوق العالمية لكون هذه السوق لم تعد عالمية مفتوحة للمنافسة الحرة كما يدعون في الماضي، بل تبقى هذه السوق معولمة بفعل الدول المسيطرة وسياساتها لأنها تملك جميع وسائل السيطرة، ويصبح محور العولمة

هو السوق الذي على جميع البلدان أن تفتح حدودها له دون سؤال، والعولمة هي التصنيع والتصدير والبيع والاستثمار وهي السطو والسيطرة على الثروات والأسواق بكل أبعادها ومعانيها، أما البلدان المتخلفة فهي السوق السلبية وهي البائع السلبي للثروات وهي المشتري السلبي للمستهلكات. بما تعني الوجود السلبي على هامش الحياة.

إن العولمة تقوم على نظام تحيزي يرتكز على تقسيم عمل دولي غير عادل، لا يمت للوعي والثقافة والحضارة بأي صلة تعنى بالجوانب الإنسانية وبالتالي السيطرة على الجنوب من قبل الشمال.

5-العولمة والبلدان الفقيرة:

بعد القضاء على النظام الاشتراكي بوصفه نظام اقتصادي اجتماعي ثقافي سياسي منافس ظهر القطب الواحد على الساحة العالمية ومنافسات محدودة من قبل الصين الشعبية واليابان، حسب بعض الآراء وبقي الوضع كما هو عليه مع البلدان الفقيرة.

سحب البساط عن الدول الفقيرة:

من الأهداف التي تتضح كل يوم سحب البساط عن دول البلدان الفقيرة وعزلها شعبيا وتعليقها على مشنقة العولمة في آخر المطاف، أنه بظهور الشمال الغني والجنوب الفقير؛ يزداد الشمال غناء ويزداد الجنوب فقرا، ونتيجة الانفجار السكاني في الجنوب ونقص الموارد بقي الشمال أمام التخوف وربما العودة إلى نظرية "مالتوس".

إن ظهور عدد من الأمراض العصرية للإنسان والحيوان والنبات بشكل لم يسبق له مثيل ما هي إلا أسئلة تطرحها العولمة في حياتنا اليومية؛ لأن المشكلة تزداد تعقيدا عندما يصبح ثلاثة أرباع سكان الأرض فقراء وربع السكان هم أغنياء.

إلغاء رأسمالية الدولة في البلدان الفقيرة:

ركزت العولمة في سياساتها الجديدة على إلغاء رأسمالية الدولة في البلدان النامية تحت ذريعة فشلها، في الوقت الذي لا تزال رأسمالية الدولة في البلدان الرأسمالية في أهم المشروعات الاستراتيجية للدولة الرأسمالية، في الوقت الذي يتعزز التحالف بين الدولة الرأسمالية والاحتكارات الرأسمالية.

أما ما يحدث في البلدان النامية فهو سحب البساط عن الدولة وخصخصة المشروعات لتفقد الدولة أهم مقومات بقاءها الاقتصادية، في وضع لا يزال الرأسمال الوطني يعيش حالة اضطراب وضعف واغتراب ولم يكن قادرا على أن يسد فراغ الدولة وبالتالي يحدث خلل اجتماعي بارز يتمثل في تسريح العديد من العمال والموظفين دون إحلال مشروعات استراتيجية جديدة فعالة تستقطب أعدادا كبيرة من العمال والموظفين ويكون مردودها الاقتصادي مفيد، كما لا تتاح الفرصة الملائمة لدراسة الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية وقيام مشروعات استراتيجية ضخمة من قبل الرأسمال الوطني أو حتى بالمشاركة مع الدولة أو بدعم خارجي.

إن تنفيذ الخصخصة كثيرا ما يجري دون دراسات عميقة ووافية، وما يحدث إما تصفية أو بيع المشروعات دون التعرف على أسباب إخفائها أو عدم قدرتها على الصمود والمنافسة حتى تستفيد من مثل هذه الدراسات التقييمية للمؤسسات التي لا

تزال قائمة؛ في الوقت الذي لا يستطيع القطاع الخاص أن يحل محل الدولة وهكذا؛ تتعثر الإصلاحات أحيانا مخلفة وراءها خللا اجتماعيا كبيرا.

إن الخطوة الثانية للعولمة في تقديري هو التوجه لإفلاس الرأسمال الوطني الذي ربما تتاح له الفرصة لوقت معين في مجالات محددة فقط، لسد فراغ تاريخي ينتهي في وقته ويجري ابتلاعه بواسطة الشركات الكبرى بشتى الوسائل مستقبلا وبالتالي يخسر البلد النامي ثروته ورأسماله الوطني على مراحل حيث يتلاشى تماما لكونه قد خسر جميع الامتيازات التي كانت تقدمها له الدولة.

أما الخطوة الثالثة فهي فتح المجال واسعا أمام الشركات العملاقة للعمل في البلدان النامية وفرض شروطها في ابتزاز الثروات وبيع المنتوجات وإلغاء جميع الحواجز الجمركية والضريبة وتحويل الرقابة على السوق من رقابة الدولة إلى رقابة دولية لتفقد الدولة المصدر الهام من مواردها ومكانتها السيادية المباشرة.

عند تقليص موارد الدولة لابد أن يرافق ذلك تقليص خدماتها، وبالتالي لابد من التأثير على قدراتها الدفاعية والأمنية والتعليمية والصحية والخدمات العامة، كما لابد من سد هذا الفراغ الذي ينجم عن ذلك. وإذا كان الرأسمال الوطني قد انتهى أو في طريقه في ظل المنافسة؛ فإنه لا بديل آخر للقروض والمساعدات المشروطة المجحفة.

إن القروض والمساعدات المشروطة هي تهديد مباشر للدولة لكون المنظمات المانحة أصبحت هي التي تملي شروطها، بل أصبحت تقيم مؤسسات مستقلة أو شبه

مستقلة عن الدولة، وتعمل هذه المؤسسات تحت إشراف ونفوذ المنظمات والمؤسسات المانحة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

هذا؛ وقد لا تأخذ بعين الاعتبار مصالح البلدان النامية بالقدر الملائم، وبالتالي إن ذلك يضعف الدولة ويعزز نفوذ هذه المؤسسات المانحة. ليس هذا فحسب بل إن هذه المؤسسات على الرغم من بعض الإيجابيات التي قد تظهر هنا أو هناك إلا أن ربط المشروعات المحلية بالمؤسسات الدولية مباشرة هو جزء من سلب السيادة الوطنية من ناحية وتأليب الناس على الدولة من ناحية ثانية، ولو بصورة غير منظورة في البداية لكن حتما ستتضح الصورة عندما تتوسع قاعدة المشاريع وشعبيتها وترتبط بالخارج.

إنها دعوة ملموسة للربط بالرأسمال العالمي وإلغاء الدولة في البلدان الفقيرة من الناحية الفعلية وهذا لا يعني رفض هذا الواقع لأنه هو الأوحد الذي لا بديل له الآن ولكن من المهم التعامل والتعاطي مع هذه التطورات بمرونة كافية وتحقيق ما تصبو إليه السياسات الوطنية في كل قطر عربي بأقل خسائر ممكنة، وكلما حدث مزيد من التقارب والتكامل العربي كلما قلت الخسائر لأنه لا مكان للضعيف في عالم القوة، والعالم العربي لديه من المقدرات المادية والثروات البشرية وميزات وإمكانيات هائلة تؤهله ليصبح تكتلا إقليميا ذا أهمية كبيرة.

حيث يكتب د.محمد عابد الجابري:"إن عالم العولمة، عالم بدون دولة، عالم بدون أمة، عالم بدون وطن، هو عالم المؤسسات والشبكات، أنه عالم الفاعلين والمسيرين، عالم المفعولين المستهلكين الذين تفرض عليهم. أما وطنهم فهو فضاء

سيلان المعلومات الفضاء السيبرنيتي، إنها نهاية للدولة، والهوية، والسلطة القانونية..." (12).

6- خطر عولمة الثقافات والاستبداد بالعلم:

أصبح خطر العولمة يهدد ثقافات البلدان النامية بشكل لم يسبق له مثيل فهو يحطم جميع القدرات الاقتصادية بشتى الوسائل مما يجعلها غير قادرة على المنافسة في السوق، ويغرس فيها حياة الاستهلاك لا للإنتاج ولا للخلق والابتكار والإبداع (كما أن هذا الخطر أصبح يداهم الناس في كل مكان بواسطة شبكات الأقمار الصناعية والمؤسسات الإعلامية التي الغني سواء على أراضيها أو التي تمولها في بلدان الغير واحتلالها للأجواء)(13).

في الماضي إبان عهود الغزو والاحتلال كان يجري نهب الثروات والتراث والتاريخ والتحف، والمخطوطات والكتب(بما يعني أنه كان يجري نهب وسرقة، كنوز العلم والمعرفة والثقافة) ولا تزال الكثير من متاحف الشمال تحوي كثير من هذه الكنوز وتذكرهم بعظمتهم في القهر والقمع الوحشي والاضطهاد الاجتماعي والسياسي، أما اليوم فيجري الأمر بشكل أكثر شراسة حيث يصدرون ثقافتهم وقيمهم بل ويفرضونها على البلدان الفقيرة التي تتقبل هذا على مضض، ليس لأنها تريد التبعية ولكن لأنها فقيرة فقط، ومن الأسباب الأساسية لفقرها هو الاستعمار والهيمنة، ويشير "نبيل دجاني" إلى تقرير لجنة اليونسكو الدولية لدراسة مشاكل الاتصال (أن دولا

معنية ومتقدمة ثقافيا تستغل مزايا لممارسة شكل من أشكال السيطرة الثقافية والأيديولوجية تعرض الذاتية القومية لبلاد أخرى للخطر)[14].

ويكتب د.مصطفى عبد الغني:"أننا في العولمة نلبس كما يراد لنا أن نلبس، ونأكل كما يراد لنا أن نأكل، والأخطر من هذا وذاك أنهم يريدون لنا أن نفكر ليس كما يريدون لنا أن نفكر به وفقا لمنهجيات وضعوها هم، وحتى وإن كانت صالحة لمجتماعتهم ليس بالضرورة أن تكون صالحة لبقية المجتمعات)[15].

ومن خلال المتابعة يبدو الخلاف واضحا على هذا الصعيد بين أمريكا وأوربا التي تخشى (الهيمنة الأمريكية) هي كذلك حيث قال "جاك لانغ" وزير الثقافة الفرنسي في عهد "ميتران" أمام اجتماع اليونسكو في المكسيك بهذا الشأن "إنني استغرب أن تكون الدولة (الولايات المتحدة الأمريكية) التي علمت الشعوب قدرا كبيرا من الحرية ودعت إلى الثورة على الطغيان، هي التي تحاول أن تفرض ثقافة شمولية وحيدة على العالم أجمع، وأن هذا شكل من أشكال الإمبريالية المالية والفكرية لا يحتل الأراضي ولكن يصادر الضمائر ومناهج التفكير واختلاف أنماط العيش)[16].

تستخدم أمريكا عدد من العوامل؛ والسب في تحقيق مآربها وترويج مفاهيمها وثقافاتها وتعزيز هيمنتها على البلدان الفقيرة ومنها:

1- استخداما لعامل المالي والاقتصادي.

2- السيطرة على المناصب الحساسة في الأمم المتحدة ومؤسساتها.

3- الهيمنة على انتقاء المشاريع والترغيب.

4- ممارسة وسائل الضغط والترغيب.

5- إرهاب الدول الفقيرة.

6- الانتقاء الوظيفي لسكرتارية الأمم المتحدة ومختلف المؤتمرات الدولية.

7- انتقاء القضايا والمواضيع.

8- الهيمنة على مجلس الأمن[17].

كتب د.الجابري: "ليست العولمة مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي بل هي أيضا بالدرجة الأولى إيديولوجيا تعكس إرادة الهيمنة على العالم)(18)، فالعولمة حسب رأيه هي:"نفي للآخر وإحلال للاختراق الثقافي في محل الصراع الأيدلوجي)، بما يعني أن الغرب وأساسا الولايات المتحدة الأمريكية هي المسيطرة على المنظمات الدولية وتعمل على تسييرها كما شاءت.

ويكتب د.مصطفى الفقي حول عدالة العولمة:"إن أمريكا ومصالحها لا تعتبر الممارسات الإسرائيلية إرهابا، بينما تعتبر الحق الفلسطيني في التحرير والدفاع عن النفس في وجه العدوان الإسرائيلي إرهابا"[19].

وتؤكد لنا الأحداث الملموسة أن أمريكا والغرب لا يدينون إسرائيل وهي تقمع الشعب الفلسطيني بكل أنواع الأسلحة المدمرة، إنهم لا يريدون أن يروا الطفل الذي يخترقه رصاص الصهاينة، ولا يرون الشيخ الذي يهجرونه من مسكنه إلى العراء، ولا المرأة المريضة والحامل التي يهدمون مسكنها أمام عينيها، ولا الشاب والشابة اللذان يتعرضان للسجن الوحشي، ولا القرى والمدن التي تتعرض للضرب العشوائي الهمجي بالقنابل من حاملات الصواريخ والزوارق البحرية والدبابات المدرعة، كل هذا في وجه حجارة الطفل الفلسطيني التي يراها الغرب إرهابا، إن هذا وغيره كثير من الشواهد الحية لعدالة وهيمنة العولمة التي تتحكم الصهيونية العالمية في كثير من مفاصلها الفعالة.

ثقافات الصدام والحوار في ظل العولمة:

لقد كتب الصهيوني صمئويل هانتجنتون: حول(صدام الحضارات) في صيف 1993م ولا يعبر إلا عن امتداد جديد لبروتوكولات حكماء بني صهيون ليحكموا العالم، وهو يلخص حضارات اليوم في سبع حضارات ويرى هذه الحضارات والتطور الهائل إنه يتهددها خطر الصدام بين الحضارات ويبرز مخاطر التفوق العسكري ممثلا بالكنوفوشية والإسلامية.

إنه بذلك يرى أن الحضارات الأخرى غير الغربية تحاول الاستمرار في الاستحواذ على الثراء والتكنولوجية والخبرات في الآلات والأسلحة التي تشكل جزءا من الحداثة، وتحاول العمل على التوفيق بين الحداثة وثقافاتها وقيمها المحلية، وبهذا ستزداد قوتها الاقتصادية والعسكرية بالنسبة للغرب[20].

وكأنه يعارض أن تصل الحضارات الأخرى إلى التقدم والرقي الاجتماعي، ويكتب د. الفقي:"أسهمت ثلاث قضايا رئيسية في توسيع الخلاف بين الحضارة العربية والحضارة الغربية هي:

1- فلسفة الحرية بين الحضارتين.

2- مفهوم حقوق الإنسان بين الحضارتين.

3- مكانة المرأة بين الحضارتين[21].

ويصل إلى نتيجة أن (الحضارة تواصل إنساني بالدرجة الأولى لا يعرف بطبيعته الصدام أو الصراع أو المواجهة ولكنه أقرب إلى روح التنافس والتكامل والانسجام)[22].

أما صموئيل يستنتج:"أن الغرب سيجد نفسه مضطرا على احتواء الحضارات غير الغربية، ولكن قيمها ومصالحها تختلف كثيرا عن قيم الغرب ومصالحه"[23]. وهنا يقف أمام أشكال لا يعرف له حلا إلا الاحتواء حتى مصادرة القيم.

رأى ضرورة أن يحافظ العرب على القوة الاقتصادية والعسكرية اللازمة لحماية مصالحه إزاء هذه الحضارات، وعلى الغرب أن يعمق فهمه للأسس الفلسفية والدينية التي تقوم عليها تلك الحضارات، وطرق نظرة الناس في تلك الحضارات إلى مصالحهم[24].

تصنيف الثقافة في البلدان الفقيرة:

يكتب د.الجابري:"تحت تأثير العولمة يتم تصنيف الثقافة في البلدان النامية اليوم إلى شقين:

الأول: ثقافة الانفتاح.

الثاني: ثقافة الانكماش والجمود.

وهذا يعني أنها ثقافة تبعية وأخرى وطنية، أما في الماضي في الخمسينات والستينات فكانتا ثقافتان هما: ثقافة استعمارية إمبريالية، وأخرى ثقافة وطنية تحررية[25].

تعتمد الأهداف الأيدلوجية على ثلاث ركائز لها هي:

1- شكل الدولة الوطنية الضعيفة في البلاد الفقيرة، وتفتيت العالم لأجل السيطرة عليه من قبل الشركات العملاقة متعددة الجنسيات.

2- توظيف الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة في عملية الاختراق الثقافي واستعمار العقول بصورة إليه.

3- التعامل مع العالم، ومع الإنسان في كل مكان تعاملا لا إنسانيا تحقيقا لشعار البقاء للأصلح؛ والأصلح هو الناجح في كسب الثروة والنفوذ وتحقيق الهيمنة[26].

لقد لعب الغزو الثقافي من قبل الغرب ولا يزال يلعب دورا كبيرا في اختراق ثقافة العرب والمسلمين معتمدين على وسائل الإعلام والاتصال وأحدث ما أنتجه العلم من تقنيات السطو والهيمنة مهتمين ببرامج التنشئة الثقافية لأجيال المستقبل؛ ناهيك عن البرامج الأخرى الموجهة للكبار، كما يكرسون استخدام اللغة الإنجليزية في جميع المجالات ومحاولة طمس وإلغاء اللغات الأخرى، وما الضخ الإعلامي الهائل في البرامج الإذاعية؛ والتلفزيونية؛ والإنتاج السينمائي والإعلانات وشبكات المعلومات الحديثة العالمية، إضافة إلى الإعلام التقليدي إلا وسيلة للاختراق الثقافي من قبل الغرب للتأثير على شعوب البلدان الفقيرة.

وفي تقديري أن حوار الحضارات هي دعوة عائمة مثلما سبقت الإشارة مثلها مثل، صدام الحضارات، لكون الحوار يمكن أن يقوم بين أطراف متكافئة وعلى أسس عقلانية ودون إلغاء الأخر ومن مواقع تسمح بالحوار لتحقيق النتائج المعقولة، ولا يعني ذلك رفض الحوار المبني على الأسس المنطقية الهادف إلى تحقيق نتائج عادلة.

الثقافة العربية في ظل عولمة الثقافات:

أنه من الصعب الحديث عن الثقافة العربية بشكل مستقل عن الإسلام، كديانة سماوية جاءت تمد الثقافة العربية بمقومات إيجابية إضافية حتى اكتسبتها القدرة على الصمود والتطور في مختلف الظروف وفي وجه كل العواصف والأعاصير التي عادة ما تهز الكيانات الثقافية الضعيفة، وعلى المفكرين والمثقفين والمهتمين أن يمتلكوا التقييمات

السليمة للحالة الواقعية التي تعيشها ثقافتنا العربية، ومن الصعب فصل الموضوعات عن الوعاء الأصلي وهو الأمة العربية والأخطار التي تهددها من كل حدب وصوب.

سمات الثقافة العربية المعاصرة:

تتسم الثقافة العربية في كونها ثقافة عربية إسلامية؛ وبهذا تكتسب بعدا مهما، في تطورها كما أنها تعبر عن حياة الفرد والأسرة والمجتمع الذين يعيشون أنماط حياة اقتصادية، وسياسية واجتماعية وبيئية وتاريخية واحدة، ويمكن أن تنشأ في ضمن الثقافة الأم ثقافات فرعية للأقليات الصغيرة في إطار الثقافة العامة للمجتمع ويمكن تصنيف الثقافة إلى:

* ثقافة بدوية.
* ثقافة ريفية زراعية.
* ثقافة حضرية تجارية.
* ثقافة حضرية صناعية.

وإذا نأخذ واقع أي قطر من الأقطار العربية نرى ما يلي:

* الثقافة السائدة أي ثقافة النخبة.
* الثقافة العامة أي ثقافة الجماهير وتتكون من الثقافات الفرعية، والثقافات المضادة[27].

أما على مستوى الوطن العربي:

فإننا نرى:

* الثقافات السائدة ثقافات النخب الحاكمة.
* الثقافات العامة للجماهير؛ وتتكون من الثقافات الفرعية والثقافات المضادة.

إن الوضع الثقافي العربي هو جزء لا يتجزأ من الوضع الذي تعيشه أمتنا العربية، في وسط التحديات والمخاطر الجسيمة، والتبصر العميق لما يحدث حولنا هو وحده الذي يقود إلى وضع الرؤى السليمة للخروج من هذه المخاطر والتحديات، إن المتغيرات السريعة والمجريات الهائلة تستدعي شحذ همم التفكير من أجل الخروج من المآزق الخطيرة التي تتخبط فيها الأمة.

فإذا هيمنة العولمة اليوم تهدد الحكام والمحكومين ولو على مراحل فعلى الجميع، ترحيل خلافاتهم الخاصة والداخلية لمواجهة الأهوال والأخطار الكبرى، فإذا يقول الكثير من المثقفين أن مخاطر العولمة تزداد، ويزداد السطو والهيمنة وابتزاز البلدان الفقيرة...إلخ، ويخلصون إلى أن الجميع في قارب واحد يجب الحفاظ عليه من الوقوع، ونحن العرب هل لنا أن نحافظ على القارب العربي الصغير وسط هدير أمواج المحيط المتزايدة.

أم الأحسن أن نستمر في صراعات الجدل المرير في الوقت الذي تدفع الأمة الأثمان غالية، لأن البحث عن طريق سليم يقبله الواقع ويقوي على القدرة في مواجهة هذه الأخطار هو المطلوب اليوم أكثر من أي وقت مضي، وهذا لا يعني قبول الآخر بقدر ما يعني التعامل معه برؤية وتبصر سليمين.

إنه معروف أن العولمة، والعولمة الثقافية هي تكوين علاقات غير متكافئة بين دول وأمم قوية وأخرى ضعيفة من أجل تعميم ثقافات الأولى على الثانية. وفي هذه العولمة تتداخل المسائل الثقافية بالاقتصادية بالسياسية والحضارية.

إن القضية أمامنا ليست قضية ثقافة أمام ثقافة، وليس الأمر مجرد لقاء ثقافي وحوار محض؛ ولكن المواجهة ليست سهلة لأن معادلتها صعبة، ولكن لأبد منها، فالمواجهة بين أمم استطاعت بفعل جملة من الظروف أن تصل إلى أرقى سلم الحضارة اليوم، وبين أمم لا

تزال بفعل عدة عوامل تعيش حالة الفقر بكل أصنافه. مما قد يؤدي إلى فقدان التوازن الحضاري الأمم الراقية تسعى لفرض ثقافتها على الأمم الفقيرة، والأمم الفقيرة تسعى بإمكانيتها الضعيفة إلى الحفاظ على ثقافتها الوطنية الخاصة.

ثقافة العولمة تعتبر الإنسان الأبيض سيد العالم، وتتجاهل أن هذه الثقافة والحضارة التي صنعها الغرب لم تكن إلا امتدادا للثقافات والحضارات الإنسانية السالفة، وما هي إلا نتيجة تطور تاريخي عالمي، وفي صنعها شاركت كل الأمم بشكل مباشر وغير مباشر، ولها فيها حق تاريخي مثلما لصناعها اليوم، وليس هذا فحسب بل من المستحيل أن يتم صنعها دون نهب وابتزاز ثروات البلدان الفقيرة واستغلال شعوبها والاستفادة من ثقافاتها.

إن ما تنتجه المؤسسات الإعلامية الأمريكية والأوروبية من ثقافة تعمل على التغريب الثقافي لأبناء البلدان الفقيرة، مما لا يؤهل أصحاب النزعة الوطنية من رؤية العالم بعمق، وينغرس الشعور الوهمي بأن الثقافة التي ينتجها الغرب هي ثقافة العالم[28].

ويقول د.الجابري:"أن الدعوة لحوار الحضارات مثله مثل الدعوة لصدام الحضارات ما هو إلا تعميم الرؤية وخلط الأوراق وتمرير المغالطات"[29].

7- سمات عصر ثورة المعلومات:

إن هذا العصر هو عصر ثورة المعلومات الحديثة الذي فيه يزداد استخدام الكهرباء، والكيميائيات، الكمبيوتر، استخدام الميكنة الشاملة في تسيير جميع نشاطات الحياة، وأتمتته الإنتاج، وقيام المؤسسات المؤتمته، وإشاعة المنظومات الأتوماتيكية للتصاميم والإدارة، وتوسيع شبكات استخدام المعلومات.

وفي هذا العصر تزداد سطوة المؤسسات الاقتصادية العالمية بل ونفوذها في تسيير العديد من المؤسسات الاقتصادية عبر القارات، ويتعاظم نفوذ الدول الرأسمالية ورأسماليتها على حساب اقتصاديات البلدان النامية (الفقيرة)، وتزداد تبعية كثير من البلدان الفقيرة في الجنوب لدول الشمال الغنية، وتصدر لها وصفات استهلاكية مختلفة لا تأخذ بعين الاعتبار واقع حال هذه البلدان المغلوبة على أمرها.

كما يشهد العالم انفتاحا بشكل السفور لصالح الدول الغنية على حساب البلدان الفقيرة، ويجري تحطيم القيم الثقافية والتاريخية وعادات وتقاليد شعوب هذه البلدان بواسطة الهجوم الشرس الذي تقوم به مؤسسات إعلام الشمال الغني من أجل السيطرة على العقول والاستحواذ على المشاعر والأحاسيس، ومحاولة تجريد هذه الشعوب من تعلقها بقيمها وثقافاتها، ومن أجل غرس القيم الجديدة المستوردة مثلها مثل المعلبات كوصفات جاهزة. يضاف إلى ذلك أن الكثير من دول الجنوب الفقيرة، إما أن تكون دولا تابعة ولا تعرف مصيرها الحقيقي المحتوم من أنها ستصبح مثلها مثل أبناء شعوب بلدانها على رصيف سوق العولمة، أو أن الجهل والغباء هو المسيطر عليها مما يفقدها التأمل في مجريات العصر.

وقد لخص "محمد أديب غنيمي" السمات الأساسية لعصر المعلومات وتأثيرها على الأنشطة الإنسانية المختلفة في أربعة محاور رئيسية هن:

أولا : يتعلق بظهور تكنولوجيا جديدة للمعلومات تعتمد على الأنظمة المفتوحة وشبكات المعلومات.

ثانيا : ظهور نظام جديد للمؤسسات يعتمد على التنظيم الشبكي المفتوح ويرتكز على المعلومات والمعارف بشكل أساسي.

ثالثا: يتعلق بظهور نظام اقتصادي جديد يعبر الحدود التقليدية للدول يعتمد على سوق مفتوح يشكل فيها التنافس (التعافس) أحد الركائز الأساسية.

رابعا: يتعلق بنظام سياسي عالمي غير مستقر في الوقت الحالي ويمكن أن يتجه نحو تعدد القطبية وظهور التكتلات الدولية الجديدة في المستقبل[30].

كثير من الجهود الفكرية ترى أن العولمة هي مشروع أمريكي يواجه تحديات وتخوفات عديدة ومنها التخوفات الأوروبية، ولا يزال المخاض عسيرا لكون الفترة الزمنية منذ سقوط القطب الآخر لازالت مدة قصيرة لا تتيح استبيان تشكل جديد بوضوح، وعندما يرى البروفيسور المغربي عالم المستقبليات المهدي المنجزة (أن أمريكا بعد فترة بين **10-15** سنة، بعد فترة ستتراجع من المركز الأول في الصدارة العالمية إلى المركز الثاني في الوقت الذي ستصل إلى مركز الصدارة الصين الشعبية، وبعد فترة زمنية أخرى أن أوربا ستتجاوز أمريكا التي ستأخذ في التراجع وهكذا)[31].

إن هناك آخرين يرون أن العالم يشهد تشكلا جديدا بعد انتهاء الحرب الباردة لم تتبين ملامحه لكونه لم يستكمل بعد.

وإذا لنا أن نقر بذلك أو نرفضه لكونه لم يكن لدينا رأيا جاهزا مبنيا على المعلومات العلمية الدقيقة حتى الآن، وعلى هذا الأساس أنه ينبغي على العرب أن لا يقفوا موقف المتفرج وعلى المثقفين العرب أن يسعوا جادين في الدفع بأي خطوات جادة نحو التقارب العربي مهما كان لدينا من سلبيات ورثناها من الماضي، لكون اليوم ليس كالأمس، لأنه حتى أصحاب الرأسمال الوطني في البلدان الفقيرة والحكام الذين أصبحوا يملكون ثروات هائلة لابد من أنهم عرفوا جيدا أن من كان وراء ثراءهم سيعمل على إفلاسهم قريبا في عصر الأهوال، وحان الوقت لتوحيد الجهود للحفاظ على ما تبقى من القيم العربية والثروة العربية

وبالتقارب والتكامل سيتقوى دور الأمة العربية وسيتصلب عودها لتشكل تكتلا "إقليميا عربيا" في رياح العولمة التي لا ترحم، ولكن لن يتأتى هذا إلاّ من خلال جهود متعاظمة تتقدمها طلائع المفكرين والعلماء المثقفين العرب.

سأكون حالما إذا أقول أنني لا أرى ماهو موجود في أقطارنا العربية من سلبيات ونواقص، وتناقضات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية...الخ، لكن هل هذا كله أو بعضه، وما فينا من فرقة وشتات، هو لصالح الآخر وبفعله أو يؤثر فيه على الأقل، ولا يخدم مصلحة الأمة وتقاربها، وإذا نقول إنه لا مكان اليوم للكيانات الضعيفة فكيف لنا ولأمتنا أن تقوى ومثقفينا لا يزالو يعيشون معسكرات الماضي، وبالمقابل مثلما على المثقفين أن يختطوا رؤى جديدة تواكب الأحداث إن على الحكام أن يعتمدوا العلم والثقافة والمثقفين ومراكز البحوث العلمية مهما كانت الاختلافات في الرؤى ومن خلال المطابخ السياسية إستنادا إلى كل الأفكار توضع القرارات السياسية الصائبة مستندة إلى المعلومات العلمية الدقيقة مثلنا مثل من هم أمامنا أصبحوا أقوياء.

وفي هذا الإطار أدعو إلى أن يتبنى مجموعة المفكرين والمثقفين العرب وضع مشروع ثقافي عربي عصري يبحث عن ما يقارب الأمة على طريق تكامل قدراتها ويتجاوز ما يفرقها لتجنب الأخطار الكبيرة التي تقدم فيها الأوطان والشعوب لقمة سائغة للآخر.

8- نحو مشروع جديد للنهوض بالثقافة العربية:

8-1- على المستوى العربي العام:

إنه من الصعب الحديث عن الثقافة العربية بمعزل عن الإسلام بوصفه الروح الحية التي تحافظ عليها وتطورها، وبالرغم من أنني وضعت لمقترحاتي عنوانا ضخما وهو ما أدعو

إليه، فإن مقترحاتي ماهي إلا آراء بسيطة تصب في هذا المجرى قد لا يؤخذ بها، وأسجل أن الكثير منها لم تكن من صنع مخيلتي بل أسهم فيها الكثير من الكتاب والمفكرين والمثقفين قمت بإعادة ترتيب وصياغة بعضها يمكن أن تشكل شذرات صغيرة في هذا.

أصبح في كل يوم جديد في حياتنا تنتج الأشياء الجديدة اختراعات، وصناعات، وتقنيات، ويتقدم الغرب بخطوات مذهلة ونحن في محيط المناقشات بعيدا عن الانتقال إلى الفعلى، كالمتفرج، نراوح في مكاننا يشدنا الماضي إليه أكثر مما نتطلع إلى المستقبل.

ومن خلال قراءتنا العميقة والدقيقة للحاضر، تحاصرنا المستجدات في مجالات عديدة التي نجهل الكثير منها، لا يريد البعض أن يعترف بحقائق العصر كما هي عليه وبالتالي لا يستطيع أن يفكر جيدا في كيفية التعامل معها، لم نتمكن من الاستفادة من كنوز المعرفة السالفة، مثلما استفاد الغرب منها عشنا في دوامة الصراع والتناحر بدلا من أن نقيم التآخي والمحبة، ضاع الود ليحل محله الفرقة، تمزقت أوصال الأمة وربما كل شعب كذلك، ضعفت الكيانات لصالح أعداء الأمة، طحنتنا الحروب وفرقتنا الفتن، كل منا يرى أنه الأحسن أما الآخر فهو الأسوأ، ومن يرى أنه العادل أما الآخر فهو الظالم.

وكل هذا يجري في الوقت الذي يتطور العالم بخطوات مذهلة فاليابان ضربت في الحرب العالمية الثانية بالقنابل الذرية وهزمت في الحرب لكنها نهضت اليوم في فترة زمنية قصيرة قياسا بالتاريخ وأصبحت اليوم تنافس الدول العظمى، ونحن مصابون بالذهول فيما يحدث حولنا من أحداث وتطورات وبدلا من أن نفكر جميعا في كيفية الخروج من الأوضاع الصعبة التي نعيشها نرى التمزيق يفعل فعله ليشل حركة الأمة بدءا بالمفكرين والمثقفين

وعندما نفخر بثقافتنا إن المشكلة ليست في الإرث الثقافي بل في الأمة وما طرأ عليها من تغيرات.

حقيقة أن الواقع العربي لا يزال يعيش ظروف صعبة أسهم الاستعمار الغربي بشكل كبير في تعقيدها ولن يسمح بأي تقارب إيجابي مهما كلفه ذلك من ثمن لكن اليوم تتضح الأمور بشكل لا يقبل الشك بأن جميع العرب في قارب واحد حكاما ومحكومين وتقع مسئولية أمن وأمان هذا القارب على الجميع، وتصبح القضية التي أمامنا ليست مشكلة عولمة الثقافات وحدها فيما إذا أخذناها بمعناها الضيق وهو الجوانب الثقافية والروحية والإبداعية، بقدر ما تتسع لتشمل كل أوجه الحياة هذا ما ينبغي رؤيته بوضوح وما يتطلب حلولا " أوسع ذات أبعاد متعددة أهمها:

أولا: محاولة ردم الهوة بين المفكرين والعلماء والأوساط الواعية من جانب وبين القادة والحكام العرب من جانب آخر وتشكيل مجموعات قادة الرأي في الأقطار العربية مهما كانت الاختلافات، فالاختلافات حق مشروع لا نضاج موضوع الخلاف، وأهم ما في الأمر من حيث المنطق على الجميع أن يعرفوا جيدا أنهم يمثلون منظومة متكاملة، إذا فقد جزءا منها اختلت عملية التوازن الاجتماعي، فمثلا الحكام لا يستطيعون دفع نظام الحكم ما لم يروا الأوضاع بعيون المعارضة، والمعارضة لا تستطيع أن تكسب الشارع السياسي إلا عندما تكون معارضة حقيقية تكشف الأخطاء كما هي عليه في الواقع من أجل تصحيحها ولنا في الآخرين أمثلة حية نشاهدها أمامنا.

ثانيا: إصدار قدر كبير من الاهتمام لمراكز البحوث العلمية في جميع المجالات ماديا ومعنويا لتسهم في تصويب القرار في الأقطار العربية.

ثالثا: الدعوة للتقارب العربي لتكوين كتلة اقتصادية اجتماعية ذات علاقات تاريخية وثقافية واحدة ابتداء بإنشاء السوق العربية المشتركة سيرا نحو تحقيق المؤسسات الأكثر تنوعا ورقيا في ظل عالم يشهد تمزقا لأمم وشعوب وتوحدا لأخرى.

رابعا: الجامعة العربية تحتاج إلى إعادة صياغة جديدة لكونها تأسست في ظروف مختلفة وهي لاستيعاب واقعنا العربي وتطويره، وهذا يتطلب إعادة النظر في وثائقها وبرامجها لكي لا تبقى مؤسسة عربية سلبية بل يجب أن تتطور وثائقها لتقدم المبادرات الاستشارية، وأن تتسع هيئاتها الاستشارية لتنظم أهم الشخصيات العربية علما وتجربة وتعتمد على مراكز البحوث العلمية في جميع الميادين.

خامسا: (أ): أننا لا زلنا أمة وأقطار مستهلكة ولن نتمكن أن ننتقل إلى قوة اقتصادية منتجه إلا إذا أقمنا بتقارب وتنسيق نحو التكامل الاقتصادي العربي سيرا نحو التقارب الإسلامي، وعلى الأقطار العربية أن تضع لنفسها خطط دفاع واستراتيجيات حماية لتجنب الأخطار الناجمة عن الاختراق الثقافي، وسلب السيادة الوطنية.

(ب): تنفيذا للتقارب العربي يجب تقديم مبادرات من الأمانة العامة للجامعة العربية في صيغ مختلفة تهدف لخلق مؤسسات عربية ذات قوة اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية في مواجهة الأخطار التي تهدد الأمة.

سادسا: من المهم تطوير الاقتصاديات القطرية العربية وصولا نحو الاقتصادات العربية الواحد، ابتداء بتطوير التجارة والسوق العربية المشتركة والاهتمام في الأساس بالإنتاج وبناء الهياكل الأساسية لاقتصادنا العربي القادر على الصمود المبنى على الرؤى السليمة، وبناء المؤسسات العلمية الثقافية والتركيز على مراكز البحوث العلمية التطبيقية، وعلى الأنظمة السياسية العربية أن تعرف جيدا أن التكامل الإقليمي العربي أصبح الشرط الأول للدخول في العصر الجديد، بدلا من الدخول المفكك الضعيف حيث لا مكان للضعفاء في عصر الانهيارات والتكتلات الكبرى.

سابعا: تصحيح اختلال التوازن في مجال الاستثمار العربي وإعطاء مزيد من التسهيل أمام الاستثمار للأموال العربية في الأقطار العربية، وإعادة جلب الأموال العربية المهاجرة التي (بلغت حوالي (350) بليون دولار تعمل خارج الوطن العربي) حسب تقدير البنك الدولي سنة 1993م وهذه الأموال تخدم غير العرب.

8-2- أما على المستوى الثقافي العربي:

أولا: (إن الحضارة العربية الإسلامية هي حضارة استيعابية بمعنى أنها استوعبت غيرها من الحضارات وهي ليست حضارة إقصائية بمعنى أن تكون أقصت أو نبذت أو ألغت الحضارات الأخرى)[32]. وفي تقديري أنه على أساس منهج التفاعل الحضاري التاريخي يجب أن نقف على أرضية صلبة عند فهمنا لعملية التطور التاريخية بما لها وما عليها.

ثانيا: يجري الاختراق الثقافي عبر وسائل الاتصال السمعية والبصرية والمنظورة، والتقليدية من كتب وصحف ومجلات وغيرها.. إنها وسائل غزو العقل وصنع الأذواق، وتنميط السلوك وترسيخ قيم المجتمع الاستهلاكي الغربي التي تحبط عمليات الإنتاج في المجتمعات الفقيرة وتعيق تنميتها، فهذا الاختراق يحتاج قدرا من الرؤية الاستراتيجية وتحديد الوسائل الممكنة من أجل تجنب الآثار السلبية لهذا الاختراق الذي يستهدف المنظومات المكونة لثقافة الأمة وقيمها.

ثالثا: إن الدعوة اليوم للتكامل الثقافي العربي من المهمات الملحة أمام المثقفين العرب، الذين عليهم أن يفكروا بعقلية جديدة مستندين إلى التراث الثقافي المتراكم لديهم مستلهمين من تجاربهم الثقافية الخروج برؤى جديدة تلبي الطموح العربي من ناحية بعيدا عن الشطحات غير الواقعية ومحاولة التمرد على الجمود أو التعصب والانفتاح على بعضهم البعض من أجل الحوار العربي البناء، وصولا للأهداف الكبيرة فتمزيق فئة المثقفين هنا وهناك لا تخدم سوى أعداء الأمة.

رابعا: تقع المسؤولية على المفكرين والمثقفين العرب أكثر من سواهم في البحث عن الطرق والوسائل التي تساعد على التقارب العربي لأنهم يمثلون مشاعل الأمة وعقلها ويبحثون عن إيجاد أرضية التقارب والتكامل العربي القوية التي تستطيع أن تصمد في وجه الأعاصير العاتية برغم كل الاختلافات لكون استمرار الفرقة والتمزق يستنزف جميع الأقطار العربية والانتظار هو الانتحار.

خامسا: فهل لمفكرينا ومثقفينا أن يصنعوا مفاهيم عربية جديدة لوحدة الأمة والأقطار العربية، من أجل خلق كتلة عربية قوية قبل أن تبتلعنا العولمة، أم لهم أن يبقوا الخلافات داخل الأمة أهم مما يجري حولنا وبالتالي تجتاحنا رياح العصر.

سادسا: إذا كان التقدم الثقافي والعلمي السمة المميزة لعصرنا الراهن أنه يجب أن ينبثق من داخل الأمم التي تصنعه، وعلى هذا الأساس يجب الاهتمام بالتنمية البشرية وتنمية الإنسان بوصفه هدف ووسيلة التنمية وغايتها وأغلي رأسمال، وهذا لا ينفي ضرورة الاستفادة مما توصل إليه العلم في البلدان المتطورة بل يجب أن تمتلك من القدرات المعرفية ما يتيح لنا المجال أن نسهم في تطور العصر في جميع تقنياته ولو بشكل متواضع للغاية لكي لا نبقى كمتفرجين وسيكون للتقارب العربي أثره البالغ في تطور العلم والمعرفة على قاعدة قوية.

سابعا: كما سبقت الإشارة أن العالم يشكل أقطابه وتجمعاته، وعالمنا العربي يتمزق ويعيش حالة تفتيت وشتات، واليوم تزداد شراسة السطو والهيمنة لتقضي على القيم، وقواعد السلوك، والسيطرة على العقول والتفكير، والمشاعر... إن الأساس للانطلاقة الثقافية نحو الآفاق الرحبة يبدأ من فسح المجال الواسع لقوى المجتمع السياسية والثقافية والاقتصادية للمشاركة في عمليات البناء والتنمية في جميع الأقطار العربية مهما كانت الاختلافات التي يجب أن تكون محكومة بمصلحة الوطن والأمة.

ثامنا: (إن الطريق للتنمية الحقيقية هي طريق تحصين الثقافة الذاتية وإعزازها وتنميتها والحفاظ عليها ولا يمكن للأمة أن تتمثل العلم الحديث أو التكنولوجيا الحديثة المستوردة إلا بلغتها القومية من هنا تبرز أهمية تطبيق التعريب الشامل والكامل المنفتح على سائر اللغات الحية العصرية)[33].

وعليه أنه يجب تعريب المناهج وإشاعة اللغة العربية وتعميمها وعدم التقليل من أهميتها في جميع الأقطار العربية، وتعزيز ثقة الأجيال الجديدة بلغتهم الأم .

تاسعا: المؤسسات المعلوماتية العالمية تبنى نظم جديدة وتطورها باستمرار، والدخول فيها كأقطار منفردة يكلف الأقطار العربية كثيرا ولا تحصل على ما تريده مثلما تدخل ككتلة عربية من خلال منظومة معلوماتية واحدة، وعلى هذا الأساس يجب أن تمتلك كل دولة عربية استراتيجية وطنية وخطط وبرامج ملموسة لمواكبة ثورة المعلومات، تقوم على قاعدة البنية الأساسية لشبكات المعلومات العربية بجميع مستوياتها.

عاشرا: إعطاء أهمية للغة العربية في ظل ثورة المعلومات على أن يتم تطويع البرمجيات المختلفة للغة العربية، وتطوير أنظمة الترجمة بمساعدة الحاسبات وإنتاج المعرفة باللغة العربية، إنتاج المعلومة وتواصل إنتاجها.

حادي عشر: في مجال التنوع الثقافي؛ تقام مشروعات ترتبط بدعم التنوع الثقافي اللغوي عن طريق ما يسمى (اللغات الشبكية العالمية) وهذه الشبكة تساعد

الذين يتكلمون بلغات مختلفة على الاتصال عن طريق هذه الشبكات العالمية، فهل للعرب أن يتابعوا هذه التطورات حتى تصبح اللغة العربية ضمن الـ 16 لغة التي بدأ التركيز الحالي عليها. قال الكاتب الفرنسي جيلبر كونت –عضو الأكاديمية الفرنسية– :كل انفتاح على العالم يفرض أولا وقبل كل شيء ثقة بالنفس راسخة ووطيدة، إن اللغة هي الجنسية نفسها، هي الوطن حيا، ومنغما، في ذات كل واحد منا"[34].

ثاني عشر: أنه يجب أن يمتلك العرب مشروعا ثقافيا متطورا متكاملا مستوعبا جميع الإشكالات التي تعيشها الثقافة العربية اليوم، وعلى المثقفين والمفكرين والعلماء ووزراء الثقافة والإعلام العرب أن يتبنوا هذا المشروع الذي يجب أن يسهم فيه كل المثقفين العرب مهما كانت الاختلافات والتباينات في التفكير، من أجل الخروج بمشروع ثقافي عربي واحد على أن يوضع برنامج محدد لذلك في كل الأقطار العربية يتوج بلقاء ثقافي عربي شامل فيه كل الآراء على أن يستوعب مايلي:

1– تشخيص واقع الثقافة العربية اليوم ومكانتها بين الثقافات العالمية المعاصرة.

2– تحديد جميع الاشكالات التي تواجهها الثقافة العربية.

3– وضع الحلول والمخارج لهذه الاشكالات.

الهوامش

1- د.حليم بركات.كتاب المجتمع العربي في القرن العشرون. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، الطبعة الأولى. 2000م، ص .109

2- د.ابراهيم عبد الله غلوم، مجلة عالم الفكر، الكويت. مجلد 27. العدد الثالث، يناير مارس 1999م، ص79-.80

3- لجنة من العلماء الأكاديميين السوفيت، الموسوعة الفلسفية، دار الطليعة. بيروت، الطبعة السادسة 1987م، ص.153

4- د. مصطفى عبد الغني، مجلة الكويت. العدد 189-17 ربيع الأول 1420هـ، يوليو 1999م.

5- المعجم الفلسفي، مجموعة أساتذة سوفيت. دار التقدم. موسكو 1986م. ص .169

6- محمد محفوظ.نقد المشروع الثقافي وطموحات العولمة، مجلة الكلمة. العدد 19. السنة الخامسة 98 م. بيروت ص .66

7- إدريس هاني. العولمة الثقافية وتحطيم خيارات النهضة العربية، مجلة الكلمة. العدد 19. السنة الخامسة 98م. بيروت. ص .66

8- د. مصطفى عبد الغني.العنف الثقافي. مجلة الكويت. العدد 189. يوليو 1999م. ص .29

9- د. محمد عابد الجابري. قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. الطبعة الأولى. 1997. ص .139

10- تقرير التنمية البشرية بعنوان (حقوق إنسان والتنمية البشرية) مركز الإعلام الأمم المتحدة.صنعاء. 2000م ص .17

11- المجتمع العربي في القرن العشرين. مركز الدراسات الوحدة العربية. بيروت. الطبعة الأولى 2000م.

12- محمد عابد الجابري. قضايا الفكر المعاصر. مرجع سابق.

13- د.علي محمد أحمد.صحيفة الثورة اليمنية، الاستعمار الغربي من احتلال الأراضي إلى احتلال الأجواء. 99/12/11م، ص .10

14- د.نبيل دجاني. مجلة المستقبل العربي. بيروت 224. أكتوبر 1997م. ص97. عن تقرير اليونسكو 1981م.

15- د. مصطفى عبد الغني. مجلة الكويت. العدد 189. 17 ربيع أول 1420هـ يوليو 1999.ص .49

16- أ.د. غانم هنا. موضوع: العولمة وثقافة الاختلاف.مجلة الكويت. العدد 189. 17 ربيع أول 1420هـ يوليو 1999م. ص .62

17- عصام عبد الغني محبوب.إشكالية العلاقة الثقافية مع الغرب. مرجع سابق. ص 222.

18- د. محمد عابد الجابري. ورقة عمل بعنوان:العولمة والهوية الثقافية. منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث .لبنان.مجلة الكلمة.ص66. العدد 19. السنة الخامسة 1998م.

19- مجلة الكويت،مرجع سابق. ص .49

20- محمد عابد الجابري.قضايا الفكر المعاصر. مركز الدراسات الوحدة العربية. بيروت. الطبعة الأولى. 1997م. ص .123

21- مصطفى الفقي.كتاب الرؤية الغائبة. دار المشرون. الطبعة الأولى 1969م. القاهرة. ص 27.

22- مصطفى الفقي. كتاب الرؤية الغائبة. دار المشرون. الطبعة الأولى 1969م. القاهرة.ص.30

23- قضايا الفكر المعاصر. مرجع سابق. ص .124

24- قضايا الفكر المعاصرة. مرجع سابق. ص .124

25- قضايا في الفكر المعاصر. مرجع سابق. ص.144

26- قضايا في الفكر المعاصر. مرجع سابق. ص.45

27- المجتمع العربي في القرن العشرين، ص.14

28- مجلة الكلمة. مرجع سابق. ص .56

29- د. الجابري. قضايا الفكر المعاصر. مرجع سابق. ص.132

30- د.محمد أديب غنمي.ملحق مجلة سطور. ثقافية عربية. العدد 33. 1999م. كلية الهندسة جامعة عين شمس مصر.

31- صحيفة الثورة. البروفسور المهدي المنجزة .العدد(90-13191)2000/12/22.23م. ص .3

32- المجتمع العربي في القرن العشرين. مرجع سابق، ص .112

33- المرجع السابق.

34- التنمية ورسالة الجامعة الألف الثالث، مرجع سابق، ص 157.